

# الذكاء الاجتماعي والعاطفي مطمح التربية في القرن الحادي والعشرين

د. أحمد أوزي/أستاذ فخري

جامعة محمد الخامس

## مقدمة

جاء في تقرير المنتدى الاقتصادي العالمي (2018) أن الكفايات اللامعرفية (Soft-skills) تعد مقياسا وعاملا محددًا لنجاح العمل المهني وتنفيذه بنسبة 80%، وتبقى للكفايات المعرفية أو التقنية نسبة 20% فقط، في القرن الحادي والعشرين<sup>1</sup>.

إن برادجم التعليم القائم على المعرفة، الذي ظهر منذ 200 سنة واستوطن في مدارسنا، من شأنه أن يقود "أطفالنا إلى الفشل، ولن يكونوا قادرين أبدًا على التنافس مع الآلات".

وإلى نفس الفكرة وصلت نتائج البحوث الميدانية التي قامت بها سوزان (Susan A, 8, 2017) التي ترى أنه يجب تعليم الأطفال "المهارات اللا معرفية (Soft skills) " مثل قيم التعاون والعمل الجماعي والتفكير المستقل، إلخ. هذا السياق من التحول والتغير الذي سيلحق، إن لم يكن قد لحق النظم التعليمية، يطرح السؤال الأساسي التالي: ما الذي يجب الحفاظ عليه من نظام التعليم الحالي؟

إن ما هو أساسي، ويجب الحفاظ عليه هو القيم، والنضج النفسي والفكري للمدرسة، وليس المؤسسات في حد ذاتها.

إن القيمة المضافة لدينا، هي التواصل الإنساني، "ودمج التكنولوجيا في النظام المدرسي ليس بالضرورة

ضد تطوير التواصل البشري، إنه دور القيام بتنمية مجموعة من الذكاءات التي تساعد الإنسان على مواجهة

مشكلات عصره والتغلب عليها بكل قواه التي يمتلكها. يمثل اليوم تعلم العيش المشترك والتعاون مع الآخرين

أحد التحديات الكبرى التي ينبغي أن تواجهها التربية، بالنظر إلى ما يعيشه العالم المعاصر من صراع

وعنف يقوض الأمل في تقدم البشرية وتأخيرها. "إن ولوج مجتمع المعرفة لا يقتصر على تحصيل المعلومات

والمعارف والكفايات والمهارات التطبيقية، وإنما يقتضي كذلك تكوين شخصية النشء وتزويدها بالقيم التي

تحقق لها أدوارا مكملة للأدوار المعرفية"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>The World Economic Forum, 2018

<sup>2</sup> برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومؤسسة محمد بن راشد المكتوم، تقرير المعرفة العربي 2010/2011، إعداد الأجيال الناشئة لمجتمع المعرفة، دبي.

ومن هنا يتوجب على البرامج والأنشطة المدرسية، التركيز بشكل خاص على تنمية الذكاءات المتعلقة بالجوانب العاطفية والاجتماعية والتفاعلية، لما لهذه الذكاءات من تأثير على تفتح شخصية المتعلم على الآخرين واكتساب روح التعاون والتآخي الجماعي، وهو المدخل الرئيسي للتخلي بقيم التعاون والتعاطف والتسامح الإنساني.

### أولاً: الذكاء العقلي والعاطفي<sup>3</sup> والاجتماعي والتفاعلي، مفاتيح التعاون وولوج بوابة المعرفة

من خلال الأفكار السابقة التي طرحها تقرير منتدى الاقتصاد العالمي، يتضح حاجة القرن الحادي والعشرين ليس إلى المعرفة فحسب، وإنما أيضاً إلى القيم الأخلاقية التي يمكن أن توجه المعرفة لصالح الإنسان ورفاهه. فالمستقبل ملك أولئك الذين يفكرون بشكل جماعي وينمون ذكاء تفاعلياً. لهذا، فإن تعلم العيش المشترك والتعاون مع الآخرين يمثل اليوم أحد التحديات الكبرى التي ينبغي أن تواجهها التربية، بالنظر إلى ما يعيشه العالم المعاصر من صراع وعنق يقوض الأمل في تقدم البشرية وتأخيرها<sup>4</sup>.

إن هدف التربية والتعليم الذي ينبغي أن يشكل هاجس كل الفاعلين التربويين في المجتمع اليوم يكمن في تعزيز القيم الإيجابية وتحقيق منتظرات المجتمع وحل مشكلاته. فالتربية أداة اكتساب المعرفة، وصقل المهارات لدى الأفراد وتمكينهم من ممارسة القيم الصالحة اجتماعياً في سلوكهم، والعمل على ضمان أن تكون قراراتهم واتجاهات مجتمعهم محكومة بهذه القيم نفسها، وجعل عملية التنشئة الاجتماعية آلية أساسية لرهان القرن الحادي والعشرين، حتى نجعل شبابنا مهياً لقبول الاختلاف الطبيعي، والتفاعل الإيجابي مع الآخرين. فالمدرسة كانت وما تزال تُتصورُ أساساً مكاناً مناسباً لإعداد وتكوين أجيال المستقبل المأمول. فالتربية والتعليم هما الناقلان الأساسيان للقيم والاتجاهات التي تضبط سلوك الإنسان وتوجهه.

ومن هنا، فإن حسن التواصل مع الآخرين، ونوع العلاقة القائمة معهم يعتبر عنصراً هاماً وشرطاً أساسياً لنجاح كل الأعمال والوظائف التي نقوم بها. وإذا كان كل واحد منا يدرك ضرورة تنمية الذكاء المنطقي الذي يقيسه المعامل العقلي (Q.I)، وأن نسبته المرتفعة تساعد على إصدار الأحكام الصحيحة، وهو الذكاء الذي يتكون بشكل خاص من الاستعداد المنطقي- الرياضي تدعمه القدرة على التفكير والتحليل والتركيب ومعالجة المفاهيم المجردة. كما يتكون هذا الذكاء، من القدرات اللغوية التي تسمح بتحرير النصوص بشكل جيد واللعب بالكلمات والتخطيط وحل المشكلات والتنفيذ والتقييم. إن هذه الخصائص التي تميز الذكاء المنطقي يحتاج إليها التعلم بدون شك، لأنها بشكل عام وسائل ذهنية تضمن العمل المنهجي، الذي يعتمد على التخطيط والتنظيم الدقيق. لهذا فإن هذا الصنف من الذكاء ندين إليه في تطويرنا ذاتياً ومهنيًا. كما أنه يخدم التواصل اللفظي والقدرة المنطقية على الكلام. وباقتترانه بالملاحظة يسمح بالاستدلال الذي يتيح

<sup>3</sup> نستخدم في هذا المقال مفهوم الذكاء العاطفي كمرادف للذكاء الانفعالي أو الوجداني، لأن اللفظة الانجليزية Emotion يقابلها في الترجمة بشكل تقريبي كل معنى من هذه المعاني.

<sup>4</sup> د. أحمد أوزي، 2017، كفايات التعليم والتعلم للقرن الحادي والعشرين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

الاستنتاج والاستقراء والحصول على أنواع البيانات حول الواقع الذي نعيشه، وهو فضلا عن ذلك كله، ذكاء يفيد في التواصل البشري لأنه يربط الكلام بالتفكير الضروري لإقامة الروابط التي توحدنا. غير أن الطابع العام المميز لهذا الصنف من الذكاء، هو التوظيف العقلاني والتصورات الذهنية المجردة، مما يجعلنا نحتاج في مختلف المواقف والعلاقات الاجتماعية إلى القيم والعواطف والتعاطف الإنساني النبيل، وإلا فقد الإنسان إحساسه الحقيقي بالتواصل مع غيره.

وفضلا عن ذلك، فإن عصر العولمة ومجتمع المعرفة ما فتئ يعرف العديد من التطورات والتغيرات السريعة، بفعل تكنولوجيا الإعلام والاتصال الذي قرب المسافات بين المجتمعات البشرية. كما عرف تدفق أمواج المهاجرين من مختلف مناطق العالم، مما أدى إلى اختلاط الأجناس والثقافات والاحتكاك بينها، وهو ما يستدعي تمكين المجتمعات من تقوية أسس التضامن والروابط الاجتماعية والعيش المشترك في ظل أوضاع، أقل ما يقال عنها أنها في كثير من مناطق العالم، تعرف عدم الاستقرار، واحتدام الأزمات المالية والاقتصادية، وتدهور الأوضاع الاجتماعية، وزعزعت المرجعيات المرتبطة بالقيم الثقافية والهوية الدينية. وهو ما حفز الاهتمام العالمي بالتربية على القيم وجعلها تحتل مكانة ضمن الاستراتيجيات الأممية، في عالم مطبوع بتحولات عميقة وسريعة. ولتحقيق التكيف مع هذه الأوضاع، فإن الأمر يقتضي مستويات عالية من القدرات المساعدة على إدراك انفعالات الغير وعواطفه بما يمكن من استخدامها كوسيلة للاستكشاف في العلاقات معهم. وهذا يدعو إلى توظيف أشكال أخرى مختلفة من الذكاءات، من شأنها المساعدة على فعالية العلاقات، لأنها تمكننا من فهم ما يحيط بنا وتحقيق التكيف مع المواقف الجديدة والتغلب على بعض الصعوبات، وإدراك ما نعيشه وما يعيشه الآخرون، ومنح المعنى لهذه التجربة، إذ من المهم إدراك المشاعر، التي تنشأ في مواقف معينة حتى نكون قادرين على التحكم فيها وإدارتها بشكل أفضل.

## ثانيا: الذكاء العاطفي أو الانفعالي<sup>5</sup> (I.E):

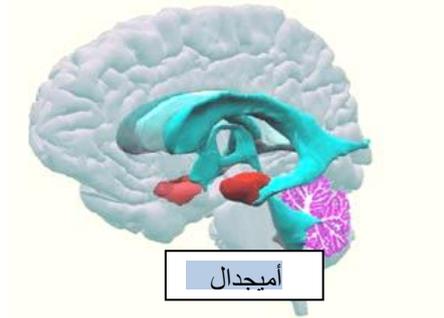
كان الاعتقاد منذ مدة طويلة أن الذكاء المنطقي المجرد الذي وضع ألفريد بينيه (A. Binet) (1857 - 1911) مقياسه (Q.I) يعتبر القدرة الوحيدة المفيدة، وأن انفعالاتنا (Emotions) ليست سوى ظواهر تحتل المرتبة الثانية. هذا إن لم تكن شيئا مضرا، بل ومضلا في نظر البعض. لذلك لم تكن للانفعالات، إلى وقت قريب أهمية تذكر. غير أن أبحاث علوم الأعصاب الحديثة (Neurosciences) منذ التسعينيات من القرن الماضي، قادت نتائجها إلى تغيير آرائنا، وبينت أن الانفعالات تقود أحيانا إلى إنجازات عقلية هامة، وأن لها دور في تكيف الإنسان مع العديد من المجالات العملية، كمجال التربية مثلا. بل إن الانفعالات تشكل أساس السلوك العقلي. إن هذه الأبحاث بينت، وبشكل خاص، أن الأمر إذا تعلق بالتواصل والعلاقات

<sup>5</sup> لفظة انفعال (Emotion) لها جذر فعل "التحرك" (mouvoir) والذي يشير بوضوح إلى أن هذه المشاعر تضعنا في الحركة.

الإنسانية، فإنه ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار هذه الانفعالات، فهي عنصر أساسي يقود إلى الانسجام بين العقل والعاطفة.

### ثالثا: مركز الانفعالات والعواطف

تتبع انفعالاتنا مسارا معقدا تتفاعل فيه العديد من البنيات الذهنية المترابطة وبعض الإفرازات الهرمونية. وتتموضع على مستوى اللوزتين اللتين تشكلان جزءا من الدماغ. ويدين اسمهما (Amygdala)<sup>6</sup> إلى شكلهما الشبيه بحبة اللوز. وهما تقعان قرب الحصين (Hippocampus) في الجزء الأمامي من الفص الجبهي للدماغ (على غرار قرن آمون فإن اللوزة الدماغية تنقسم إلى جزأين، حيث يوجد كل جزء في كل نصف من الدماغ الأيمن والأيسر)، وظيفتهما الأساسية القدرة على الإحساس والشعور والعواطف الإنسانية. إنها على سبيل المثال موطن الشعور بالخوف وكل التغيرات الجسدية التي تترتب عنه. عندما تكون في جنح الظلام وتحس بأن شبعا خلفك يتبعك ويبدأ القلب في الخفقان، فمن المحتمل أن اللوزتين في عز نشاطهما. ويذهب علماء الأعصاب إلى القول بأن الذكاء الانفعالي أو العاطفي جزء حقيقي من تنظيم العقل وأنه شيء قابل لتحسين مهاراته.



### رابعا: نظرية الذكاء العاطفي

ما هو الذكاء العاطفي أو الانفعالي (Intelligence émotionnelle)؟ وما المقصود بهذا الصنف من الذكاء؟ وفيما يختلف عن الذكاء المنطقي والذكاء الاجتماعي والذكاء التفاعلي؟ وما قيمة هذا الصنف من الذكاء في مستهل القرن الحادي والعشرين؟ وما دوره في نجاح الشخص وتنفيذ أعماله بنجاح؟ وكيف يساعد هذا الذكاء على تنمية القيم الإنسانية النبيلة، كالتعاون والتعاطف والتسامح والتآخي؟

تنسب نظرية الذكاء العاطفي أو الانفعالي إلى بعض علماء النفس في القرن الماضي، غير أن دانييل جولمان (Daniel Goleman) (1946) هو الذي أشاعها وجعلها متداولة. من المهم على كل حال الاهتمام

<sup>6</sup> مصطلح Amygdale مشتق من اللغة اللاتينية الذي أخذ بدوره من اللغة اليونانية، وهو يدل على حبة اللوز، وكان العالم الفيزيولوجي الألماني بورداخ (Burdach) (1776 - 1843) أول من استخدم هذا المصطلح.

بهذه النظرية لفهم تطبيقاتها الممكنة، وكيف يسمح لنا هذا الذكاء بتطوير فهمنا لذواتنا، وإثراء علاقاتنا مع الآخرين.

إن سجلنا العاطفي (الانفعالي) واسع جدًا، وبعض منه إيجابي يدفعنا إلى الشعور بالراحة والانفتاح على الآخرين، بينما نوع آخر يؤدي بنا إلى استجابة سلبية، تجعلنا نعاني وتناؤم وندخل على أنفسنا. ومن المهم إدراك المشاعر التي تنشأ في مواقف معينة، حتى نكون قادرين على التحكم فيها وإدارتها بشكل أفضل.

تؤثر انفعالاتنا على ردود أفعالنا وخياراتنا وقراراتنا وتوجه جميع أعمالنا، وهي في نفس الوقت مصدر فرح أو معانات. على سبيل المثال، من خلال الشعور بالبهجة والخوف والقلق والمفاجأة وعدم الثقة والغضب والحزن وحتى الكراهية والرفض، بقدر ما يمكن أن تثير مشاعر التعاطف والحنان والحب.

تحظى كفاءة الذكاء المنطقي في مجتمع القرن الحادي والعشرين، القائم على الإنتاج والمنافسة، سواء في مجال الدراسة أو العمل، بتقدير كبير، بحيث تصبح نسبة الذكاء أو المعامل العقلي المرتفع (Q.I) بمثابة العلامة المرجعية التي تشير إلى قيمة الشخص. إن هذه القدرة تمكنه من متابعة الدراسات العليا أو التعامل مع مهن عالية المستوى. ولكن ماذا عن الصفات الشخصية للتحفيز والمثابرة والقدرة على العمل والعيش معًا؟ إن التكيف مع الواقع الصعب والاستمرار في العمل في ظروف تتطلب بذل الكثير من الجهد للنجاح، سواء في المدرسة أو العمل، فالذكاء المنطقي لا يخبرنا بأي شيء عن هذه القدرات، التي تبرزها نظرية الذكاء العاطفي (الانفعالي)، إذ منذ تطوير هذه النظرية وانتشارها من قبل دانييل جولمان، إلا وأصبحنا نتحدث عن المعامل الانفعالي (I.E) عوض الحديث فقط عن المعامل العقلي (Q.I).

إن الأعمال الهامة لجاردنر (H. Gardner) حول الذكاءات المتعددة<sup>7</sup> سبق لها الإشارة إلى وجود الذكاء الذاتي (Intrapersonnelle) والذكاء التفاعلي (Interpersonnelle)، مما يبين بأن ملكاتنا العقلية لا تتوقف فقط عند الذكاء المنطقي، وأن المعامل العقلي ليس المقياس الوحيد لقياس قدراتنا. كما أنها وضعت حدا لعدم تقدير واعتبار الانفعالات، كمكون أساسي لوظائفنا العقلية<sup>8</sup>.

## خامسا: الحاجة إلى الذكاء العاطفي في عصر التكنولوجيا

قد نتساءل عن أهمية الذكاء العاطفي (الانفعالي) والحاجة إليه في عصر تهيمن فيه التكنولوجيا المتطورة؟ الواقع أن الباحثين الذين دعوا إلى فهم هذه النظرية السيكلوجية والاسترشاد بها في الدراسة والعمل، لجعلها فضاء أكثر انسجاما، وأكثر إنسانية، وحتى أكثر فعالية، يرون أن هذا الذكاء له أهمية كبيرة في سلوكنا، تجاه أنفسنا وتجاه غيرنا، فهو قدرة تسمح بالتعرف على عواطفنا وفهمها وقبولها، قصد استخدامها بشكل

<sup>7</sup> د. أحمد أوزي، 1999، التعليم والتعلم بمقاربة الذكاءات المتعددة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

<sup>8</sup> Howard Gardner (1996). Les intelligences multiples, Retz, Paris.

مناسب في المواقف المختلفة والتكيف معها. كما يفيد في الاطلاع على معاناة الآخرين وحالاتهم النفسية. وبعبارة أخرى، إن الذكاء العاطفي هو القدرة على استخدام عواطفنا في مختلف مجال النشاط الإنساني للتواصل بشكل جيد، واتخاذ القرارات الصائبة، وإدارة الأولويات في الحياة، وتحفيز الآخرين، والحفاظ على علاقات جيدة بين الأشخاص، والتعلم ، والنجاح في الحياة.

يقول جولمان (Goleman)<sup>9</sup> رائد الذكاء العاطفي: " إن معايير النجاح في العمل آخذة في التغيير مع مرور الزمن، إنه يتم الحكم علينا من خلال مقياس جديد: ليس فقط من خلال مدى نكائنا، أو من خلال التدريب الذي تلقيناه والخبرات التي لدينا، ولكن يحكم علينا أيضا من خلال كيفية التعامل مع أنفسنا والتعامل مع بعضنا البعض. يتم تطبيق هذا المقياس بشكل أكبر في اختيار من سيتم تعيينهم والذين لن يتم تعيينهم في وظيفة معينة، والذين سيتم التخلي عنهم، والذين سيحتفظ بهم، والذين سيتم تجاوزهم والذين سيتم الترويج لهم"<sup>10</sup>.

إن معنى ذلك بصريح العبارة، أن القيم الإنسانية التي تحكم سلوك تعامل الإنسان مع ذاته ومع غيره في المجتمع، هي التي غدت معيارا للحكم على كفاياته وقدراته، وهي التي تبوؤه منزلة رفيعة في المجتمع، وتعطيه قيمة مضافة، تجعله شخصا مميزا ومرغوبا فيه، لا يمكن التخلي عنه، والرغبة في الاستفادة منه، وبالتالي يغدو قائدا وموجها ومسئولا، لما يتحلى به من سلوك إنساني رفيع.

إن أبسط تعريف للذكاء العاطفي أو الانفعالي وأقربه إلى الأذهان، أنه القدرة على إدارة الانفعالات والعواطف الشخصية، والمشاعر الخاصة بالآخرين، إنه على حد تعبير جولمان، القدرة على التعرف على شعورنا الشخصي وشعور الآخرين، بهدف تحفيز ذواتنا وإدارة عواطفنا بشكل سليم في علاقتنا بغيرنا. هذا ويتضمن الذكاء العاطفي ثلاث مهارات أساسية؛ هي:

- أ. الوعي العاطفي؛
- ب. القدرة على توظيف المشاعر في مهام عدّة؛ كالتفكير وحلّ المشكلات؛
- ت. مهارة إدارة العواطف؛ والتي تشمل تنظيم مشاعر الشخص أو القدرة على تهدئة الآخرين والتأثير عليهم.

<sup>9</sup> Daniel Goleman, 1995

<sup>10</sup> د. أحمد أوزي، " الذكاء العاطفي وتنمية قيم التسامح حاجة التربية في القرن الحادي والعشرين"، ورقة مقدمة إلى مؤتمر الإشارة الضوئية "تطبيقات عملية لقضايا مجتمعية"، جمعية النهضة النسائية فرع الخوانيج، 29 - 30 سبتمبر 2019، دبي.

### يتيح الذكاء العاطفي (الانفعالي) المهارات التالية:

- معرفة عواطفنا وعواطف غيرنا وفهمها؛
- القدرة على التعبير عن مشاعرنا بشكل صحيح، ومساعدة الآخرين على التعبير عنها؛
- إدارة عواطفنا والتكيف مع مشاعر الآخرين؛
- استخدام عواطفنا ومهارات الذكاء في مجالات مختلفة من النشاط: من أجل التواصل الجيد واتخاذ القرارات الجيدة وإدارة أولوياتنا؛
- تحفيز الآخرين، والحفاظ على علاقات جيدة معهم؛
- المهارات الشخصية، للتعلم، لتحقيق النجاح في الحياة.

إن العيش في مجتمع، كعضو نشط ومسئول، يفترض وجود أنواع مختلفة من المهارات الاجتماعية، لتعزيز وتيسير علاقاتنا الشخصية، الكثير من هذه المهارات يعتمد على ذكائنا العاطفي.

والخلاصة أن الذكاء العاطفي يمنح الفرد القدرة على التعرف على عواطفه الشخصية، وفهمها بصورة جيدة، وإدراك مدى تأثير عواطفه على الأشخاص من حوله.

### سادسا: الذكاء الاجتماعي

إن حياتنا اليومية شديدة الارتباط بحياة غيرنا في المجتمع، وحسب مؤسسة كارنيج للسلام الدولي (fondation Carnegie) فإن النجاح المهني يحتاج إلى 85% من مهارة تدبير العلاقات مع الغير. إن لدينا انطباع بأن الآخرين هم مصدر مشاكلنا، والواقع أنهم ليسوا السبب الحقيقي، وإنما هو قبل كل شيء طريقتنا في تدبيرها.

اهتم الباحثون في المدة الأخيرة، بشكل خاص، بنوع الذكاء الذي يسود في علاقاتنا الاجتماعية. وأكدوا بأن النجاح في العمل في فريق والحصول على تعاون الآخرين، يحتاج إلى نوع من الذكاء الاجتماعي. فهو الذي يجعل صاحبه يتمتع بمهارة الملاحظة الدقيقة والاستماع الجيد، والقدرة على تحليل المواقف وفهمها، وهو يجعل صاحبه، سريع التكيف مع غيره، وله القدرة على التعاطف معهم والتأثير فيهم.

يعود الفضل إلى دانييل جولمان في تطوير "الذكاء الاجتماعي"، وذلك بالنظر إلى المهارات التي نحتاجها للعيش معاً. في الوقت الحاضر، لم يعد بإمكاننا التحدث عن التواصل بمجرد استحضار التبادلات الميكانيكية بين مرسل الخطاب ومستقبله، كما قدمه لنا النموذج السيبرنطقي cybernetic الخاص بـ Wiener Norbert ، على الرغم من أن هذا التفسير البسيط والديناميكي لا يزال وظيفياً في تحليل الفعل وردوده بين المتحاورين، فالدراسات الأخيرة حول الدماغ المرتبطة بعلاقاتنا الشخصية، بوضوح أنه نموذج لم يعد كافياً بعد الآن، فنحن بحاجة في الوقت الراهن إلى النظر في الأبعاد المختلفة لذكائنا، والجوانب العاطفية والاجتماعية التي تم اختبارها حالياً على ضوء علوم الأعصاب.

لقد شغل موضوع الذكاء الاجتماعي بأسماء مختلفة العديد من الباحثين السيكلوجيين منذ سنوات طويلة. فقد صنف ثورندايك (Edward Lee Thorndike) (1874-1949) منذ القرن التاسع عشر الذكاء إلى أشكال، وهي الذكاء الميكانيكي والذكاء المجرد والذكاء الاجتماعي، واعتبر أن الذكاء الاجتماعي هو القدرة التي تسمح لنا بالعيش بشكل جيد في المجتمع، وأن نكون قادرين على التصرف بحكمة في علاقاتنا الشخصية. غير أن البحث في هذا الصنف من الذكاء اختفى بعد ذلك لوقت طويل. بيد أنه في الآونة الأخيرة، حيث تقدمت علوم الأعصاب، واتسعت البحوث في مجال الذكاءات، جعلت الباحثين يذهبون إلى القول بأننا نمتلك بنيات معينة في الدماغ، يمكنها من خلال عمليات معقدة مترابطة، إعادة تجميع نفسها لتشكيل في مجموعها ما يسمى بالذكاء الاجتماعي. فإذا كان الذكاء العاطفي يتمثل في القدرة على فك رموز مشاعرنا وعواطفنا، وتسييل الضوء على قدرتنا على التعرف عليها، والتعبير عنها، وتصور شعور الآخرين، فإن الذكاء الاجتماعي هو طريقة العيش معا. إنه مزيج من صفات، مثل الحساسية لاحتياجات ومصالح الآخرين، والكرم في اللجوء إليهم، والنظر إليهم باحترام. ويعرفه كارل ألبريشت (Carl Albrecht) (1902-1965) بأنه "القدرة على التواصل مع الآخرين، وإقناعهم بالتعاون معنا." هذا وقد أبرزت مجمل نتائج الأبحاث حول هذا الذكاء بأن التوافر على خصائصه يمكن صاحبه من النجاح الفائق بسهولة ويسر في كل المجالات الاجتماعية.

إن هذه الطريقة في تصور العلاقات الإنسانية، تبين بأن التأخي والتعاون يعوض قوة المواجهة والتنافس، وأن الذكاء الاجتماعي الذي يتكون من الإدراك والحساسية والمهارات العلائقية، يعتبر مفتاح العلاقات الإنسانية المنسجمة، وأن هذه المهارات مطلوبة في حياتنا اليومية في الأسرة والمدرسة والمجتمع. يمكن تنمية الذكاء الاجتماعي عن طريق الخبرة والتجربة الاجتماعية خلال التفاعل مع غيرنا في المدرسة أو في الأسرة أو المجتمع بشكل عام، والاستفادة من العلاقات الناجحة، وكذلك العلاقات الفاشلة.

### سابعا: قياس الذكاء الاجتماعي

لما كان من الممكن قياس معدل الذكاء المنطقي، ومعدل الذكاء العاطفي، فإنه أصبح من الممكن كذلك قياس معامل الذكاء الاجتماعي. إذ بمجرد ما تم التساؤل عن الذكاء الاجتماعي بين الباحثين السيكلوجيين، فإنهم بادروا إلى اقتراح مقاييس تقيسه. فهناك مقياس الذكاء الاجتماعي الذي طرحته أكاديمية جورج واشنطن، وقام باحثون آخرون في الفترة ما بين 1928 إلى 1955 بطرح عناصر مثيرة للاهتمام في هذا الاختبار، مثل ذاكرة الأسماء والأرقام، والاعتراف بالحالة العاطفية وراء الكلمات المنطوقة والمكتوبة، وتعبيرات الوجه، وكذلك حس النكتة. وهناك مقياس آخر قامت ستيرنبرغ Sternberg وآخرون بتطويره عام 1981، ركز على توافر مجموعة من الصفات لدى المتميز به، وهي: قبول الآخرين، قبول أخطائنا

الشخصية، الالتزام بالمواعيد، الاهتمام بالآخرين، غياب الأحكام المسبقة، الإحساس بحاجات الغير، الانفتاح والصدق في العلاقات الشخصية، إلخ.

### ثامنا: الذكاء التفاعلي Interpersonnelle

إلى جانب الذكاء المنطقي، والذكاء العاطفي، والذكاء الاجتماعي، هناك ذكاء آخر رابع، له بدوره علاقة وثيقة بالسلوك الاجتماعي، وهو الذكاء التفاعلي الذي شكل جزءا هاما من نظرية الذكاءات المتعددة التي قال بها جاردرنر (H. Gardner)، وهي نظرية تقول بوجود تسع ذكاءات لدى الفرد.<sup>11</sup> لقد أعلن جاردرنر في كتابه " بنيات الذهن " (Frames of mind) الذي صدر عام 1983، وجود سبع ذكاءات لدى كل شخص عادي، ثم اكتشف فيما بعد ذكاء ثامنا، فذكاء تاسعا.<sup>12</sup> وهذه الذكاءات التسعة، هي: الذكاء اللغوي، الذكاء المنطقي - الرياضي، الذكاء الجسمي - الحركي، الذكاء البصري- الفضائي، الذكاء الموسيقي، الذكاء الذاتي، الذكاء التفاعلي، الذكاء الطبيعي، الذكاء الفلسفي أو الروحي. إن هذه الذكاءات توجد لدى كل شخص بنسب متفاوتة، وغالبا ما لا يكون قويا فيها كلها، وإنما يمتلك قدرات أحدها أو أكثر. ومن مهام التربية والتعليم تنمية الذكاءات المختلفة لدى المتعلمين. ودور المدرس رعاية كل هذه الذكاءات والمساعدة على تنميتها وتطويرها. ويعد الذكاء القوي لدى كل تلميذ بمثابة جسره وأسلوبه في التعلم. ودور المدرس شبيه بدور "المايسترو" الذي يقود الفرقة الموسيقية، إذ عليه أن ينوع أسلوبه في التدريس ليستطيع مخاطبة كل أصناف الذكاءات الموجودة لدى التلاميذ، ويحقق التواصل مع الجميع، كل حسب نوع ذكائه الذي ينشط خلاياه العصبية التي تستثير التعلم وتنشطه. وعلى المدرس أن يدرك بأن كل التلاميذ أذكاء، ولكن كل بطريقته الخاصة.

إن المتعلم الذي يتوافر على الذكاء التفاعلي، الوارد في نظرية جاردرنر، يحب الانضمام إلى غيره، ويستطيع التواصل مع غيره من الأطفال بسهولة، كما أنه يفهم غيره بسرعة، وهو يتعلم بشكل أفضل إذا ربط علاقة بتلميذ آخر أو مجموعة من التلاميذ. ومن أهم مؤشرات وجود هذا الذكاء لدى أي شخص، الخصائص التالية:

<sup>11</sup> Howard Gardner (1997). Les formes de l'intelligence, Editions Odile Jacob, Paris.

<sup>12</sup> د. أحمد أوزي، 1999، التعليم والتعلم بمقاربة الذكاءات المتعددة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

مؤشرات الذكاء التفاعلي (Interpersonnelle) حسب نظرية الذكاءات المتعددة لـ هوارد جاردنر:

أ. تكوين الأصدقاء بسرعة؛

ب. حساس لمشاعر غيره من الناس؛

ت. حب التدخل خلال الشعور بوجود مواقف صراع أو سوء تفاهم؛

ث. حب إنجاز الأنشطة في جماعة؛

ج. يرغب في مساعدة الغير عوض حل مشاكله بنفسه؛

ح. يختار الألعاب التي يشارك فيها غيره؛

خ. يحب أن يعلم غيره ما يعرفه أو تعلمه؛

د. يتمتع بصفات الزعيم ويحب القيادة؛

ذ. يحس بالأطمئنان داخل جماعته.

## تاسعا: التعاون والتكامل بين وظائف الذكاءات

إن بنيات الدماغ التي تقوم بقيادة الذكاءات الأربعة: المنطقي، العاطفي، الاجتماعي، والتفاعلي لا تعمل كل واحدة منها بمعزل عن الأخرى، فهي تشتغل بشكل متزامن، للقيام بإنجاز عمل ما بطريقة منسقة ومنظمة، وتكيفه للوضعية المطروحة. يقوم الذكاء العاطفي في البداية بدراسة المشاعر التي قام مثير ما باستثارتها، ثم يحكم عليها الذكاء المنطقي الذي يقوم بعمليات التحليل والتركيب، بهدف حل المشكل المطروح، وقد تتم الاستعانة آنذ، إذا اقتضى الأمر، بالذكاء الاجتماعي، والذكاء التفاعلي من أجل إثراء العلاقات وجعلها بناءة وأكثر انسجاما. هذا، ويمكن تصور سيرورة وظائف الذكاءات، كما يلي:

1. يتم دراسة مشاعر الذكاء العاطفي؛

2. يحكم عليها الذكاء المنطقي الذي يقوم بعمليات التحليل والتركيب ثم يوجهها نحو حل المشكل؛

3. يقوم الذكاء الاجتماعي والتفاعلي بإثراء علاقاتنا وجعلها أكثر انسجاما.

توضح وظائف هذه الذكاءات مجتمعة، قوة وقدرة الدماغ البشري، فعمله لا يقتصر على ما يقوم به جانب العقل المحض، ووظيفته الدقيقة المجردة، وإنما تسانده في ذلك قوى ذهنية أخرى، ذات طبيعة وظائفية مختلفة، من أجل مواجهة المواقف والتغلب على المشكلات المطروحة. إن مختلف الذكاءات الأخرى، غير الذكاء المنطقي، تتدخل حيث يتطلب الأمر، لإبعاد المعاناة والقلق والإحباط والخوف والحزن، من أجل دعم ومساعدة الذكاء المنطقي وانقاد الموقف، والعثور على الحل عن طريق تخطيط العمل وتنفيذه. إن العقل البشري أشبه في عمله بسيمفونية متناغمة وثرية تعزفها مختلف قوى دماغه.

## خاتمة

من خلال ما تقدم، تتضح أهمية تنمية الذكاءات المختلفة لدى المتعلمين، في مختلف المستويات التعليمية، عن طريق الأنشطة المدرسية اليومية المختلفة. ذلك أن نسبة 20% من الذكاءات فطرية، بينما 80% منها تحتاج إلى الاكتساب، عبر تطوير الذات، بهدف تحقيق حياة نفسية متمسة بالمرح والتفاؤل والأمل، وتحقيق الأفضل والأمثل، بعيدا عن الانفعالات التي تنال من الطاقة النفسية للشخص، والتوجه إلى التفكير الإيجابي الذي يبرز القدرات ويفتح المواهب. وبوسع الأنشطة والمشاريع التربوية التي تسطرها المؤسسة المدرسية في برامجها، أن تنمي روح التعاون والتضامن والتآخي والتسامح والتعاطف لدى المتعلمين، عبر تحسيسهم وإشعارهم بالمسؤولية، وتحملها والتوافق مع الاختلافات والطبائع المختلفة، وقبول الاختلاف واحترام الآخر والتعاون معه، يساندهم في ذلك ويعاضدهم القوى العقلية التي يتمتعون بها.

## ملخص المقال

يتناول هذا المقال في مجمله، حاجة الإنسان إلى مهارات أخرى مكملة للمهارات الذهنية التي يزودنا بها الذكاء المنطقي المتعارف عليه، والذي تقاس نسبته بالمعامل العقلي (Q.I)، وذلك للنجاح في العمل وفي العلاقات بالغير. ومن ثمة، فإن المقال يعرض للعوامل التي تستدعي توظيف مهارات الذكاء العاطفي، والذكاء الاجتماعي، والذكاء التفاعلي، باعتبارها - كما تكشف علوم الأعصاب حديثا - قوى ذهنية تزودنا بمهارات هامة، تتيح لنا الوعي بذواتنا، ومعرفة انفعالاتنا وانفعالات غيرنا وطريقة تدبيرها. فالانفعالات تشكل ينبوع حماسنا العاطفي وهي قابلة للتنمية، وكلما ارتفعت مهارات الذكاء العاطفي والاجتماعي لدى الفرد، إلا وساعد ذلك على ربط علاقات شخصية فعالة وناجحة بشكل أفضل، سواء كان ذلك في المدرسة أو العمل أو مع مرؤوسيه أو مع أصدقائه. لذلك فإن تنمية الذكاءات المشار إليها لدى المتعلمين يجعلهم يحققون العديد من النجاحات المبهرة في حياتهم وفي علاقاتهم الاجتماعية. كما يعالج المقال، خصائص ومؤشرات كل ذكاء من هذه الذكاءات الأربعة للتمييز بينها، مع توضيح طريقة تدخلها لتأزر الذكاء المنطقي المجرد، خلال مواجهة الفرد للمشكلات في بيئته، من أجل مساعدته للتكيف مع الوضعيات الجديدة التي يصادفها في حياته.